2023

Color Rhythms إيقاعات لونية

عبادة الزهيري

Ebada Elzohairy

يعتمـد أسـلوب الفنـان عبـادة الزهـيري عـلى تلـك الـروح الكامنـة في اللـون ولغتـه وفـق صياغـات تبـوح بالكثـير عـن مكنـون الذاكـرة والأفـكار والمشـاعر، التـي تومـض فـوق مسـطحه وكأنهـا خيـالات الأحـلام بـكل دلالاتهـا عندمـا نقـف لنفـسر ونقـرأ معانيهـا .. ومـع جنوحـه للبنـاء التجريـدي تعكـس لوحاتـه طاقـات انفعاليـة ؛ ترشـد لمـا هـو مسـتتر وأبعـد مـما هـو مـرئي، طاقـات توحـي للمُتلقـي بحالـة شـاعرية مرهفـة، تتأرجـح بـين ثنايـات الكتلـة واللـون .. إطلالـة جديـدة للفنـان عبـادة الزهـيري وعالمـه المتصـوف الحـالم.

أ.د/ وليـد قانـوش

رئيس قطاع الفنون التشكيلية

عبادة الزهيرى..دراما كونية بلغة الإبداع الفنى

هـذا فنـان أخلـص لرسـالة التعبـير عـن حالـة كونيـة، وعـن شـحنة دراميـة كامنـة بداخـل الكتلـة التـى تبـدو نحتيـة رغـم أنـه مصـور متـين وليـس نحاتًـا، فرغـم قـوة ألوانـه وثرائهـا البـصرى فـإن الكتلـة عنـده هـى سـيدة الموقـف، مـن خلالهـا يتجـلى صراع الجبابـرة فـوق المجـرّة.. رسـوخ يقـذف حممًـا بركانيـة مـن جبـال وصخـور، ومـع ذلـك فثمـة حلـم شـفيف ينبـع مـن جلاميـد الصخـر، ومـن الـرواسى الرواسـخ، ومـن تفجـرات البراكـين ومـن سـيولة الحركـة فى الكثبـان الرمليـة، ومـن بطـون الأرض ومـن فـوران أمـواج المحيـط.

الـصراع دائـم بـين قـوى الطبيعـة، وفى الحقيقـة هـى قـوى الـصراع داخـل النفـس البشريـة؛ بـين النـور والظـلام، اللـون والظـلال، الملمـس الوحـشى، التجريـح والكشـط ،الإزاحـة والإدمـاج، التسـييل والصلابـة، التكتيـل والتـشرذم، التصـادم والتناغـم ، التشـظى والتماسـك...هذه جميعًـا أدوات الفنـان لعـزف سـيمفونيات بصريـة هـادرة.

مسـاقط رأسـية مـن منظـور عـين الطائـر لمسـاحات أرض خـلاء مبقـورة البطـون، تتفجـر بغليـان قُـوَى سـفلية مجهولـة أو معـادن غـير مكتشـفة، تلـك أعـمال لا تعـرف الهشاشـة، يغذيهـا بحـث فنـى دائـب عـن الجوهـر لا عـن المظهـر، عـن عـروق القـوة الدافعـة للحيـاة لا عـن دبيـب الضعـف والخمـود المـؤدى إلى المـوت.

وقـد اختـار الزهـيرى الأسـلوب التجريـدى طريقًـا لتحقيـق هـذه الرؤيـة، وتلـك مغامـرة تشـكيلية كبـيرة، فليـس مـن مهـام التجريـد حمـل رسـالة مـا، حتـى وإن كانـت ضمـن التجريديـة التعبيريـة، ويقتـضى منـى ذلـك اسـتعراضًا سريعًـا لأنـواع وأشـكال الفـن التجريـدى لـنرى أيهـا سـلك الفنـان لبلـوغ غايتـه ..

وبغـض النظـر عـن المسـميات والتقسـيمات النظريـة، هنـاك التجريـد الزخـرفى أو القائـم عـلى الأشـكال الهندسـية أو العضويـة بتداعياتهـا وتناسـلها الـذاتى ، وهـو يخاطـب البـصر بإيقاعـات وتوازنـات خطيـة ولونيـة مهندسـة عقليًـا، وهنـاك التجريـد الغنـائى الطـروب الـذى يكـرس لوظيفـة الزينـة أو المتعـة البصريـة لذاتهـا، ويدغـدغ الشـعور والحـواس ولا يبرحهـما إلى منطقـة مفاهيميـة، وهنـاك التجريـد المتوافـق مـع الطبيعـة باسـتخدام عناصرهـا الخارجيـة أو دلالاتهـا الإنسـانية كإيحـاءات ورمـوز مجـردة مـن تفاصيلهـا الواقعيـة، لكنهـا تنضـح بهـا أو تشـف عنهـا بغمـوض، وهنـاك التجريـد التعبـيرى، الجيـاش بالمشـاعر والـصراع والـرؤى والدراما الوجوديـة، وهـو ينـأى تمامًـا عـن محـاكاة الواقـع متحـررًا مـن الطبيعـة ومـن المعنـى المعـين، وقـد يحلـق حولهـما بغمـوض وصـولًا إلى حالـة مـن سـبر أغـوار الوجـود الكـونى، ومحرضًـا عـلى تجـاوز السـائد والمألـوف نحـو رؤى يمكـن للمشـاهد

تخيلها، ويستخدم الفنان لذلك كل ما يفصح عن شحنته التعبيرية عبر عناصر التشكيل المستخدمة فى جميع الأنواع السابقة من التجريد. وإلى هذا النوع الأخير ينتمى الفنان الكبير عبادة الزهيرى، لكنه - على عكس معظم التجريديين باتجاهاتهم المختلفة - استخدم البعد الثالث لتجسيم أشكاله فى المكان والفضاء، ليكون لها حضورًا راسخًا يحيل المُشاهد إلى بعض مَشاهد الطبيعة من دون إفصاح، بُغية خلق حالة من الالتباس أمامه بين أن يكون ما يراه واقعًا أو خيًالا، كما يساعده ذلك على إعمال سكين ألوانه وأمشاطه فوق سطح العجائن السميكة ليستخرج من تحت السطح طبقات وملامس لونية وعجائن كثيفة سبق له وضعها تباعًا، لهذا فالألوان عنصر مساعد فى لوحاته، إنما البطل هو ما تحت الطبقة اللونية العليا من ألوان متراكمة تومض عبر الكشط والتجريح محدثة نسيجًا متوترًا مرتعشًا كذبذبات قوس الكمان على الوتر، لكنها تصنع بجسم الكتلة - وهى سيدة الموقف - نبضًا لعمالقة تنتفض بحراك يشمل جميع أجزائها. إن هذا الأسلوب أقرب إلى الموسيقى السيمفونية بإيقاعاتها الدرامية وتقابلاتها النغمية فى «الكونتر بوينت»، مع احتواء العمل (وهو الكتل فى حالتنا)على ترديدات للحن الأساسى تَشغِى بالدندنة المقابلة للذبذبة الوترية المرتعشة من دون الوقوع فى أسر الثرثرة النغمية. لكن هذه التجربة الفنية للزهيرى تثير مشكلة اتجاهات الفن التجريدى التى أشرنا إليها، وهى مشكلة مزدوجة ، إذ تتمثل عند الجمهور فى كونها - ولو ظاهريًا - بلا معنى مفهوم بمعايير المنطق المعتادة والمتفق عليها بالنسبة للذائقة العامة، وتتمثل عند النقاد فى عدم وجود معايير ثابتة ومستقرة للجمال فى التجريد، مقارنة بالمدارس الكلاسيكية والواقعية والتأثيرية بل حتى السريالية، يمكن بها التمييز بين فن نابع من موهبة حقيقية لا شك فيها، وبين مجرد تجارب عشوائية لا تنبع من موهبة أصيلة، هنا أرى أن الفيصل فى التمييز هو استناد العمل الفنى إلى تراث من الخبرة الفنية والفطرة الإنسانية معًا لدى كل من الفنان والناقد والمتلقى، إلى جانب الاحتكام إلى أسس مشتركة لا تخلو منها جميع المدارس الفنية قديمًا وحديثًا، ومنها قيم البناء الفنى الجامعة لمفردات اللغة التشكيلية، من أسس التكوين وعلاقات اللون والخط والملمس، ومن موازين الإيقاع والحركة والهارمونى والتضاد...إلخ. وجميعها مفردات تتطلب ذائقة فنية مرهفة وتدريبًا ومثابرة على التعلم معًا. وأزعم أن عبادة الزهيرى يملكها جميعا باقتدار، ويتقن توظيفها للتعبير عن شحنة نفسية جياشة، ولتفجير طاقة معنوية للحياة والوجود، خاصة وأنه دارس أكاديمى رفيع المستوى وممارس جيد لأساليب الواقعية بمهارة عالية فى مراحل سابقة.

عز الدين نجيب/الناقد الفني

إلى أي مدرسة تنتمي هذه الأعمال ؟!

سيظل هذا السؤال يتحرك أمام جميع الأعمال الفنية الجميلة يشكل بندولي ... وسيظل يشاكس أذواقنا كلما وقفنا أمام أي عمل فني يحاول الخروج من أسر السائد الجمالي، ويسعد إلى ابتكار مداراته الجمالية الخاصة.

إنه نفس السؤال الذي وجدتني أسأله وأنا أمام لوحات الفنان عبادة الزهيري الأخيرة ... خاصة وأنه يمتلك كافة أدواته الفنية والأكاديمية، ويعرف «بأستاذية» شروط اللعبة !!! فكيف إذن نصنف هذه الأعمال؟! وتحت أي لافتة مدرسية يمكن أن تندرج؟!

وجدتني أجيب بعلامات استفهام أخرى .. ولماذا نصنف هذا المشروع الجميل؟!، ولماذا كلما فشلنا في تحرير أذواقنا من القوالب الجاهزة نحاول أن نسجن الإبداع الإنساني الذي من طبيعته التمرد والانفلات من الجاهز والمكرور .. في خانات وقوالب مكرورة؟! ولماذا نصر على كتابة كلمة «فلفل» على علبة «الفلفل»؟١ لماذا لا نغامر ونضع «السكر» مكان «الشطة»؟!

ولماذا لا نسمى «البقرة» «وردة» ؟!، ولماذا لا نترك عبادة الزهيري يلعب «بسكينته الرعناء .. كما يشاء» ؟!لتنفجر من حركاتها الرشيقة العفوية أو المدروسة أو القادمة من اللاشعور الناتج عن تراكم الوعي الكامن وراء حركة اليد التي امتلكت قدرتها الأدائية التلقائية، لماذا لا نترك هذه السكينة المراوغة تقترح أشكالها المتوالدة من الصراع المتنامي بين الأحمر والأزرق والأصفر، فتتداعى التكوينات من خلال علاقاتها الجديدة طارحة أمام المتلقي جدول أعمال أكثر ديمقراطية للوحة وأكثر تعبيرًا عن العالم الذي نعيشه، حيث اختلطت كل الأشياء بكل الأشياء والأفكار بالأفكار .. ولم يعد ضوء الشمس الساطع ساطعًا، بحيث يمكننا اكتشاف جوهر الأشياء، وأصبحنا بحاجة في هذه الضبابية إلى ديوجين آخر يضئ قنديله في وضح النهار .. لأن الضوء ليس كافيًا لاكتشاف الحقيقة !

وأخيرا لماذا لا نبحث معًا في لعبة «السكين الرعناء» التي أدخلها عبادة في سياق الأحبار الملونة .. عن قوانين هذه اللعبة الجميلة ؟! عن ضوابط مداراتها؟! عن إيقاعها المجرد الذي يلوح من خلف كل تنويعاته بحثًا عن الانسجام الذي يتخلل بهدوء نسيج تكويناته ومفردات حالة المواد بشاعرية غير نمطية .. وغير جاهزة .. وغير معلبة ؟!!

أسامة عفيفي/ الناقد الفني

« إحـذر أن تقـع فيـما كـدت أقـع فيـه أنـا شـخصيًا .. هـذه ليسـت شـخبطة ولا اسـتهانة ولا هروبًـا ولا إدعًـاء، كـما هـو الحـال عنـد البعـض ؛ لا ... هـذا شـئ عميـق وفـن طاهـر ابـن نـاس طيبـين وعظـماء وبسـطاء هـم المصريـين، كان اللـه في عونهـم».

حلمي التوني/ الفنان التشكيلي

«عبـادة الزهـيري بـركان ليـس كامنًـا ولكنـه يسـتر محتـواه ويختـار الوقـت المناسـب ليفجـر مكوناتـه مـن فـن عظيـم، يصـدم المشـاهد بجمالياتـه وتقنياتـه وجرآتـه، ويحـترم المشـاهد في حـوارٍ راقٍ معـه يقـدم فيـه مـا يجعلنـا نصـدق أنـه مـازال هنـاك رجـال فنانـين أقويـاء جديريـن بالاحـترام والحـب والتقديـر، أهـلًا بعبـادة الزهـيري ينضـم إلينـا عضـوًا عاملًا في مجـال التصويـر يواجـه معنـا القـرن الـ ٢١ عـلى المسـتوى المحـلي والمسـتوى العالمـي».

أ.د / حسن عبدالفتاح حسن – عميد كلية الفنون الجميلة بالأقصر

«في أعـمال عبـادة الزهـيري وجـدت التناقـض بـين اللمسـة المجـردة والفـراغ المتـزن، بـين الحركـة السريعـة واللـون الداكـن الثابـت، بـين أشـعة الضـوء المتباينـة مـن خـلال الموجـات اللونيـة وبـين اهتـزازات الإحسـاس المرهـف داخـل نسـيج اللـون المتصـل بالحـس التعبـيري، والبنـاء الريـاضي الغـير مطبـق هندسـيًا».

أ.د/ أحمد نوار – رئيس المركز القومي للفنون التشكيلية ورئيس قطاع المتاحف

«اللـون هـو السـمة الأساسـية في أعـمال الفنـان التشـكيلي عبـادة الزهـيري فهـو يعـزف باللـون بالرغـم مـن خطـورة ووعـورة هـذا الطريـق ؛ عندمـا يكـون اللـون هـو صاحـب الحـق في التعبـير وينفـرد بالعـزف بمفـرده، حتـى يصبـح هـذا العـزف هـو العنـصر الدرامـي والحقيقـي في اللوحـة، واللـون يقـوم بالـدور الأسـاسي في العـزف داخـل هـذه المسـاحة لـكي يعطـي مسـاحة أكـبر في السـيطرة العامـة عـلى اللوحـة، فاللـون عنـد الفنـان عبـادة هـو تنغيـم لإثـراء لحـن يـذوب داخـل اللـون الـذي يحـاوره في صراع متكامـل بـين اللـون والعنـاصر الأخـرى المكملـة للبنـاء الفنـي، ولا يسـعني ألا أن أقـدم الفنـان «عبـادة الزهـيري» بهـذا الكـم مـن الأعـمال إيمانًـا منـي بـأن الموهبـة الفنيـة قـادرة عـلى تحقيـق نفسـها وسـط زخـم الحيـاة مهـما طالـت الحيـاة أو قـصرت» .

أ.د / صالح محمد رضا

عبـادة الزهـيري يقـدم لنـا في هـذا العـرض مفاجـأة حقيقيـة ... تتـوج تجربتـه التـي بدأهـا منـذ أكـثر مـن ٢٥ عامًـا، وفي هـذه المـرة قـدم إنجـازًا هامًـا بالنسـبة لمحاولـة البلـورة اللاشـكالية الجماليـة، وقـد لاحظـت إنـه اسـتطاع أن يقـدم مشروعًـا حميميًـا بـين الخـط واللـون والكتلـة والفـراغ وبـين الفواصـل التـي تربـط الأضـواء ببعضهـا، وجـدت أن علاقتـه بالضـوء ازدادات حميميـة وأقصـد بالضـوء اللـون الـذي حولـه مـن لـون كيميـائي إلى ضـوء أثـيري، ويمتـاز أيضًـا بخاصيـة معينـة بالرغـم مـن الأخطـار التـي يمكـن أن ينجـم عنهـا مثـل هـذا النـوع المبتكـر الحديـث المتمثـل في التجريـد التعبـيري، وهـو أرفـع أنـواع الفنـون التجريديـة التـي تعنـي أساسًـا بشـحذ وشـحن الخـط بقيمـة تعبيريـة عاليـة ؛ وليـس مجـرد خطًـا وإنمـا حـس ومشـاعر وعواطـف وانفعـالات وأيضًـا تكريـس مشـاعر وانفعـالات خاصـة داخـل اللـون ؛ وبالـذات الألـوان السـاخنة التـي تميـزت بهـا أعمالـه، ونحـن حينـما نلقـي نظـرة عاجلـة وسريعـة عـلى أعـمال عبـادة نشـعر بأننـا في حالـة دفء وينعكـس عـلى المتلقـي مـن خـلال نسـيج الألـوان والنسـيج الخـاص بالمسـافات المكانيـة والزمانيـة بـين العنـاصر الموجـودة عـلى صفحـة أعـمال عبـادة الزهـيري .

الفنان الراحل/ أحمد فؤاد سليم - أكتوبر ١٩٩٦

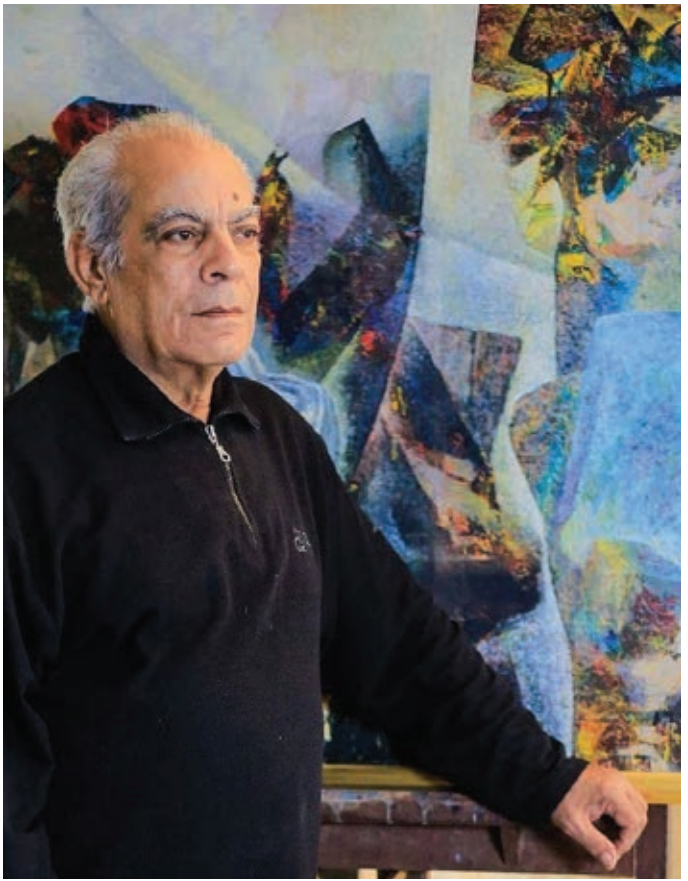

عبادة الزهيرى

مواليد بلقاس ـ الدقهلية ، بكالوريوس الفنون الجميلة- قسم التصوير ١٩٦٥، عمل رساماً بمجلة المنصورة ١٩٦٣.

المعارض: شارك في العديد من المعارض منها: معرض الشباب العربي بموسكو ١٩٦٦، والعديد من المعارض المتجولة بعد نكسة ١٩٦٧، معرضي «سوق الفن»، «أوكشن» بقاعة دنيا جاليري ١٩٩٦، ١٩٩٧، معرض الفن المعاصر – المركز السعودي للفنون التشكيلية- جدة ١٩٩٦، ١٩٩٧، معرض الخريف للأعمال الصغيرة بمجمع الفنون ١٩٩٧، معرض فنون من أرض النيل «ميونخ» ١٩٩٧، معرض شخصي بقاعة أتيليه جدة للفنون ١٩٩٦، معرض شخصي بقاعة أتيليه القاهرة ١٩٩٦، معرض الرسوم الصحفية (الدورة الأولى) بقصر الفنون ٢٠٠٤.

المقتنيات: اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي، متحف الفن الحديث، مقتنيات شخصية في القاهرة والعديد من العواصم العربية.

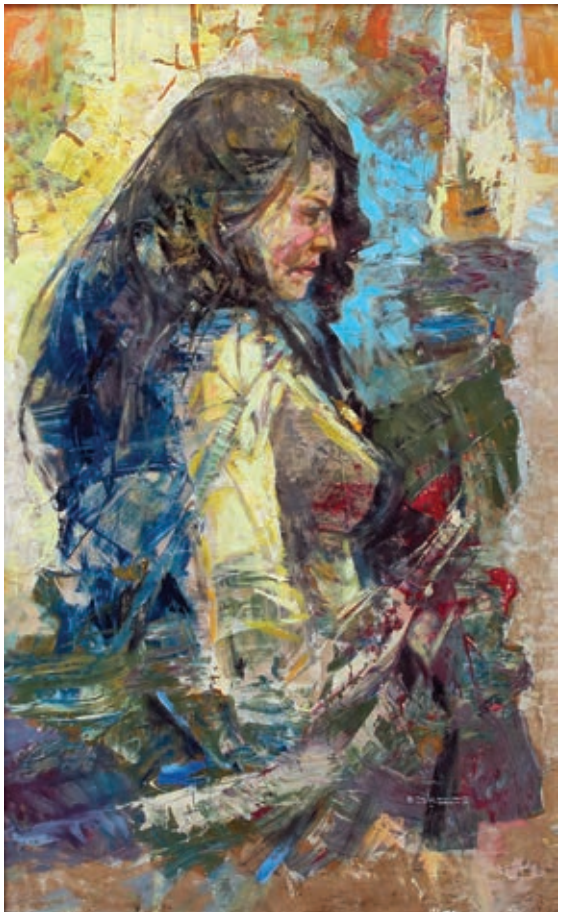

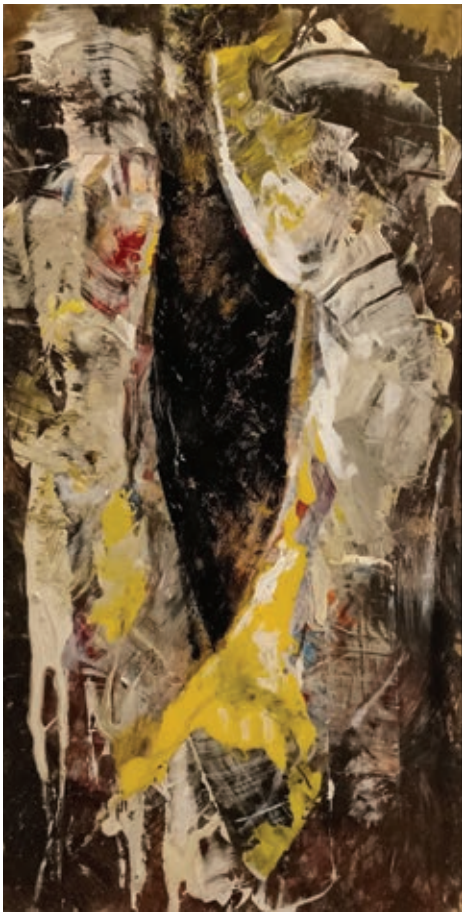

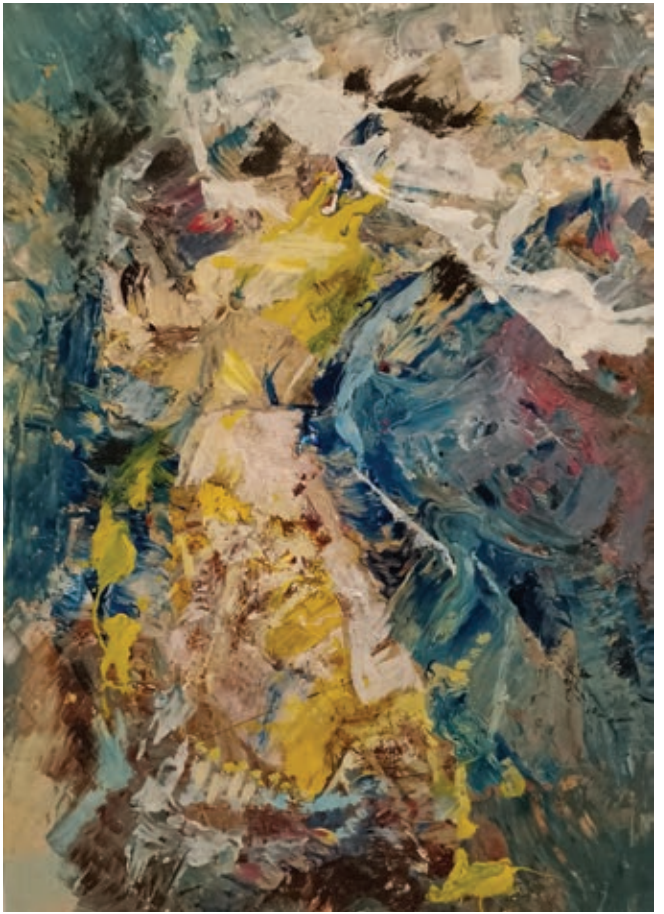

د. سوان عبد الواحد محمد

تصميم المطبوعات والإخراج الفني للكتالوج

أ. مها محمود

مراجع لغة عربية

حقوق الطبع محفوظة لقطاع الفنون التشكيلية - وزارة الثقافة - ٢٠٢٣